تَأَمُّلاتٌ في سُورَةِ الإِنْسانِ
وَخُصُوصِيَّةُ أَهْلِ البَيْتِ فيها

د. نوري كاظم الساعدي

جامعة بغداد - كلية التربية (ابن رشد)

فحوى البحث

(سورة الانسان)، او (سورة الدهر)، او (سورة هل اتى) المباركة خصت اهل بيت الرسول الاعظم ﷺ بصفات اكتسبوها بما قدموا لانفسهم من عمل يصب في شدة تقواهم ومتانة التزامهم بما امر الله –تعالى –.

فهم في السورة: الابرار الذين اعد الله لهم الجزاء الاوفى في الاخرة.

والبحث فيه تأملات دقيقة في هذه السورة الكريمة وفي ما احتوت من اوصاف للجنة التي وعد الله –سبحانه– بها الابرار، الذين يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً، وختم البحث بالنتائج التي توصل اليها الباحث وقائمة بمصادر البحث.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم:

لقد ذكر الحقُ -سبحانه -كثيراً من الآيات التي تشير إلى منزلة أهل البيت عليهم السلام في القرآن الكريم، بيد أننا سنعرض لمنزلتهم عليهم السلام في سورة الإنسان، عن طريق الجنّة التي أعِدت لهم، وهي جنّة مخصوصة بعِينها، يمكن لنا تسميتها: جنّة أهل البيت عليهم السلام في سورة الإنسان، وسيظهر في أثناء البحث، أنّها ليست الجنّة الوحيدة المُعدّة لهم سلفاً، بل هي جنّة من ضمن عددٍ من الجنان، نالوا استحقاقاتها لمُنجزٍ قاموا به، فاستحقوا المنزلة السامقة في الدارين، وسبيلنا في البحث، يعتمدُ ثوابت لها عَلاقة بمعطيات النص القرآني، وأسباب نزوله، أو مناسبته المتفق عليها عند المسلمين جميعا، على وفق منهج، يأخذ بالبنية اللغوية التي يتشكل منها النّص (الجنة) والفضاءات الأخرى للنصوص القرآنية، اعتمادا على الثابت والمتغيِّر في الدلالات ضمن التشكيل، أي فضاءات الجنّة منفردة ومجتمعة.

- سبب النزول أو مناسبته:

ثمة إجماع عند عدد من علماء التفسير على أنّ ثماني عشرة آية من آيات سورة الإنسان، أو الدهر أو الأبرار، أو الأمشاج، أوالمسماة بمفتتحها، بدءاً من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ﴾[سورة الإنسان: ٥]. إلى قوله: ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ [سورة الإنسان: ٢٢]. نزلت في أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله: علي وفاطمة والحسن والحسين وجارية لهم، تسمى فضة. فقد جاء في تفسير الكشّاف عن حَبر الأمة عبدالله بن عباس رضي الله عنه: ((إنّ الحسن والحسين مَرِضّا، فعادهما رسول الله صلى الله عليه وآله في ناس معه فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على وُلدك، فنذر علي وفاطمة، وفضة -جارية لهما -إنْ برئا مما بهما أنْ يصوموا ثلاثة أيام، فشفيا وما معهم شيء، فاستقرض عليّ من شمعون الخيبري اليهودي ثلاث أصوع من شعير، فطحنت فاطمة صاعاً، واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم، ليفطروا فوقف عليهم سائل، فقال: السلام عليكم أهل بيت محمّد، مسكين من مساكين المسلمين.

أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة، فآثروه وباتوا لم يذوقوا إلاّ الماء، وأصبحوا صياماً، فلمّا أمسوا، ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم، فآثروه، ووقف عليهم أسير في الثالثة، ففعلوا مثل ذلك. فلمّا أصبحوا، أخذ عليّ عليه السلام بيد الحسن والحسين، وأقبلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فلمّا أبصرهم، وهم يرتعشون كالفراخ من شدّة الجوع، قال: ماأشدّ ما يسوؤني ما أرى بكم!. وقام فانطلق معهم، فرأى فاطمة في محرابها، قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها، فساءَهُ ذلك، فنزلَ جبريل، وقال: خذها يا محمّد!. هنّاك الله في أهلِ بيتك، فأقرأهُ السورة))[1].

إنّ سبب نزول الآيات المباركة في حقِّ أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله: علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام يشير إلى مقدار الإيثار الذي، يتصفون به، وهذا سبيل ارتضوه في الحياة الدنيا، وهو سبيل العارفين بالله، ومع أنّ مفسراً كالقرطبي (ت٦٧١هـ)، يذكر أسباب نزول أخرى من بينها سبب النزول آنف الذكر، بيدأنه يقلل من شأن نزوله في أهل البيت عليهم السلام، فيقدم سببا واهنا، حين يقول: ((أفيحسب عاقل أنّ علياً... أجهد صبياناً صغاراً من أبناء خمس أو ست على جوع ثلاثة أيام ولياليهن؟!. حتى تضوَّروا من الجوع، وغارت العيون منهم؛ لخلاءأجوافهم حتى أبكى رسول الله صلى الله عليه وآله ما بهم من الجهد))[2].

والحقّ أنّ القرطبي لم يكن موفقا في

(١) الكشاف: ٤/ ٥١٥ -٥١٦، وينظر: تفسير القرآن الكريم: ٣٤٥، وأسباب النزول (الواحدي): ٣٣١، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٥/ ٤٠٨: وجاء فيه: ((وأنّها نزلت في صنيع علي بن أبي طالب في إطعامه عشاءه وعشاء أهله وولده لمسكين ليلة، ثمّ ليتيم ليلة، ثمّ لأسير ليلة متواليات)). ومجمع البيان: ١٠/ ١١٤، وزاد المسير: ٨/ ٤٣٢، والتفسير الكبير: ٣٠/ ٢٢٨، وتفسير البيضاوي: ٤/ ٣٥٨، وتفسير النسفي: ٤/ ٣١٨، وتفسير البحر المحيط: ٨/ ٣٩٥: جاء فيه: ((وهذه الآية قيل: نزلت في علي بن أبي طالب كرم الله وجهه))، ونظم الدّرر: ٢١/ ١٤٠، وروح المعاني: ٢٩/ ١٥٧، والميزان: ٢٠/ ١٤٣-١٤٤، والتفسير المبين: ٧٨٢، وأسباب النزول (الرفيعي): ٢٥٥ -٢٥٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ١٩/ ١٣٢.

نفي نزول الآيات الكريمة في حقّ أهل البيت عليهم السلام أو التقليل من نزولها فيهم، فهو لم يلبث طويلا حتى يأخذ بالأقوال التي تنقض ما يقول في أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا﴾[سورة الإنسان: ١٢]. عندما يذكر أنّ الله جزاهم عن صبرهم ((على الفقر... على الصوم... على الجوع ثلاثة أيام وهي أيام النذر))[٣]. ومن أجل هذا، فهو يأخذ بسبب نزول الآيات فيحقّ أهل البيت، ويسلم بنزولها فيهم من دون أن يدري ((والذي يجب أن يُتنبه له أن سياق هذه الآيات سياق الاقتصاص [القصة] تذكر قوماً من المؤمنين تسميهم الأبرار، وتكشف عن بعض أعمالهم))[٤] بحسب ما جاء في تفسير الميزان، يزاد على ذلك، فإنّ المتتبع لسيرتهم عندما ينظر الى الآيات في السورالأخرى التي نزلت بحقهم لا يجد غضاضة في نزول تلك الآيات فيهم، فلا ريب أنهم الأبرار، وأنهم عبادُ الله وكانوا يوفون بالنَذرِ لله، ويخافون من الله، ومن أهوال يوم القيامة، وإطعامهم الطعام للمسكين، واليتيم، والأسير قربة الى الله، والصّبر، والإيثار الذي كان دأبهم في الحياة الدنيا، وقد قال الحقّ فيهم: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[سورة الحشر: ٩]. وقد ورد في سبب نزول آية الإيثار هذه، أنّ السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام قالت لعلي عليه السلام إذهب إلى أبي فابغنا منه شيئاً.

فقال: نعم، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله فأعطاه دينارا، وقال: ياعلي اذهب فابتع لأهلك طعاما.

فخرج من عنده، فلقيه المقداد بن الأسود رضي الله عنه فأعطاه الدينار، بعد أن ذكرَ له حاجته، وانطلق إلى المسجد، ولقي رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: يا علي، ما صنعتَ؟. فقال: يا رسول الله، خرجتُ من عندك فلقيني المقداد بن الأسود، فذكر لي ما شاء الله أن يذكر فأعطيته الدينار.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله أما أنّ جبرائيل عليه السلام قد أنبأني بذلك، وقد أنزل الله فيك كتاباً[٥]

(٣) المصدرنفسه: ١٩/ ١٣٤.
(٤) الميزان: ٢٠/ ١٣٩.
(٥) ينظر: أسباب النزول: ٢٠٦ -٢٠٧.

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الحشر: ٩][٦].

يزاد على ذلك كله، فإنّ الحقّ -سبحانه وتعالى- يقدم رسالة كونية، عندما تُستَهلُ سورة الإنسان بقوله تعالى ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [سورة الإنسان: ١]. فتشير إلى مآله، وتقدّم -أيضا- أنموذجاً إنسانياً، لبيوتات الأنبياءعليهم السلام تبتغي في مجملها، الإشارة إلى أنّ نهج أهل بيت محمّدصلى الله عليه وآله خاتم الرسل والأنبياء، منار للراغبين إلى ربِّهم، يهتدون به أنّى شاؤا، وبيتهم ليس ككلِّ بيت، فلاعجب أن آثروا المسكين، واليتيم، والأسير على أنفُسِهم، وأطعموهم طعامهم، وأوفوا بالنذر، وصبروا، وخشيتهم لله -سبحانه وتعالى- وهذا بدا في آيات سورة الإنسان، التي اتجهت إلى رَسْم اتجاهين: اتجاه المؤمنين وهم الرسول الكريم وأهل بيتهعليهم السلام ومن اتبعهم، وذكر عطائهم، وهو الغالب على مجمل الآيات المباركة، واتجاه المعاندين الكافرين، فقال الحقّ في الاتجاهين في مستهل السورة: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [سورة الإنسان: ٣]. وكان أهل البيتعليهم السلام من الشاكرين وشَكَر الحقُّ عملَهم في الحياة الدنيا، فقال في شأنهم: ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ [سورة الإنسان: ٢٢] وعلى هذا كانوا من الداخلين في فيوضات الله ورحمته، ويكون ختام السورة المباركة بقوله تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [سورة الإنسان: ٣١]. متسقاً مع التفاصيل التي اتجهت السورة إليها، وعلى نحو خاص بعمل أهل البيتعليهم السلام والنعيم والملك الكبير الذي أسبغه الخالق العظيم-سبحانه وتعالى- عليهم.

- الجنّة في سورة الإنسان:

القرآن الكريم معجزة بِكر، لم يكن للبشرية نصيب من معرفة كتاب على شاكلته، توافرت في آياته المعجزاتِ كلُّ أدوات الصياغة، والنَظم، والإقناع، وتوقف عنده أولو الألباب مليّا، ساعين سعياً حثيثاً إلى الوقوف عند كنهه، وجعل

(٦) ويذكرالطبرسي رواية أخرى يسندها إلى أبي هريرة، مفادها أنّ الآية نزلت في أهل البيتعليهم السلام، ينظر: مجمع البيان: ٩/ ٢٣١-٢٣٢.

مِن المبطلين مَن يسلّم بإعجاز فيه كلّ التسليم؛ عندما أنصتوا لآياته المعجزات، فهو منظومة معرفية متكاملة، تختلف عن كلّ الأقاويل التي يوظفها البشر، برزت فيه قوانين السّماء في لغتين: لغة الإبلاغ- هدف الرسالة -وهي لغة تسعى نحو إقرار النظام واتساقه، ولغة أخرى، جماليّة، تسعى للتأثير في المتلقي بأدوات فنية[٧].

وسورة الإنسان المباركة، تستحق التأمل فـي آياتها، شأنها في ذلك شأن سور القرآن الكريم الأخرى، وعلى وفق قول أمير المؤمنين عليه السلام: ((هذا القرآن إنّما هو خطّ مستور بين الدفتين، لا ينطق بلسان، ولابدّ له من ترجمان. وإنما ينطق عنه الرجال))[٨]. وموضع إمعان النظرفي الآيات التي، تشتمل على عمل المؤمنين في الحياة الدنيا وما أسفر عنه من إسباغ الله- سبحانه وتعالى -في اليوم الآخِر عليهم من آلآئه التي، ظهرت في الجنة ونعيمها، بدءاً من قول الحق -تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾[سورة الإنسان: ٥]. إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ [سورة الإنسان: ٢٢]. فثمة ثماني عشرة آية كريمة، ترتبط بأمشاج ونسق مع بعضها الآخر، وهي تقدم منظومة معرفيّة، تشير إلى أنّ نهج الحياة الدنيا، يفضي إلى نهج الحياة الآخرة، فكانت الجنّة التي أتسمت بهيئةٍ مخصوصةٍ بعينها، لا تماثلها أيّة جنة أخرى أتى إلى ذكرها القرآن الكريم.

وكان الحقّ -سبحانه وتعالى- قد خاطب الناس في كتابه العزيز بما يفقهون، بيد أنّ كلّ مايختص باليوم الآخِر، يختلف عن ماموجود في الحياة الدنيا، فـ((كلُّ ما في الجنّة ليس منه في الدنيا إلاّ الاسم))[٩].

أما جزاؤهم في الآخرة، فإنّه على مقدارعملهم المحاط برحمة الله أولاً، ومن ثمّ عملهم ثانياً، المخصوص بنهج معين، وعلى هذا كانت الجنّة في سورة الإنسان التي، تسمّى: سورة الدهر، أومَن يسميها بمفتتحها (هل أتى) أو سورة الأبرار،

(٧) ينظر: مفهوم الشعر عند السجلماسي: ٣٦.
(٨) نهج البلاغة: ١٨٢.
(٩) التفسير المبين: ٧٨١.

الذين ورد ذكرهم في الآية رقم (٥).

- خصائص أهل البيت عليهم السلام في السورة:

اتساقاً مع التوسع في ذِكر خصائص تلك الجنّة، والسفر في فضاءاتها، لابدّ لنا من الالتفات إلى سَمْتِ أهل البيت عليهم السلام على وفق ما يراه الحقُّ -سبحانه وتعالى- وظهر في سورة الإنسان في الآيات رقم: ((٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١٢)) في قول الحقِّ:

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾[سورة الإنسان: ٥ -١٠]

﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ [سورة الإنسان: ١٢]. فكان سَمتُهم:

أنّهم الأبرار + عبادُ الله + الوفاء بالنَذرِ + الخوف من الله ومن أهوال يوم القيامة + إطعام الطعام قربة الى الله للمسكين واليتيم والأسير + الإيثار + الصّبر = الجنّة: ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ [سورة الإنسان: ١٢].

ذلك قول الحقّ فيهم، ولا ريب في أنّ مَن اتسم بتلك الصفات، فإنّ عطاءَهُ عندالله غير منقوص، من أجل هذا وغيره، فإنّ النظر إليهم بمعيار الله يُسوِّغ المكانة التي، يتقدمون بها على سواهم، ووجدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول في أهل بيت النبي: ((وهُم أزِمّةُ الحَقِّ، وأعلامُ الدِّين، وألسنة الصِّدق!. فأنزِلوهم بِأحسنِ منازِل القرآن، ورِدُوهُم وُرُودَ الهِيم العِطاش))[١٠]. وتلك منازل القرآن الكريم التي لا مِراءَ فيها التي، أسبغ بها الحقُّ آلاءه عليهم ظاهرةً و باطنة. وهو أوْلى بعبادِه الأبرار المؤمنين، الذين وسمهم -بداءةً -بـ(الأبرَار). وذكر أمين الإسلام الفضل بن الحسن الطبرسي(ت ٥٤٨ هـ) أنّ معنى الأبرار ((جَمعُ البَرُّ المطيعُ لله المُحسن في أفعالة، وقيل: هم الذين يقضون الحقوق اللازمة والنافلة، وقد أجمع أهل البيت عليهم السلام وموافقوهم، وكثير من مخالفيهم، أنّ المراد بذلك: علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام والآية ومابعدها متعينة فيهم وأيضاً فقد انعقد

(١٠) نهج البلاغة: ١٢٠. ومعنى الهِيم: الإبل.

الإجماع على أنهم كانوا أبراراً، وفي غيرهم خلاف))[11].

وعلى هذا، فإنّ أهل البيت عليهم السلام استحقوا من لدن الحق تلك المنزلة الرفيعة، منزلة الأبرار، لـ((أنّ تمام الطاعة لا يحصل إلاّ إذا كانت النيّة مقرونة بالعمل، فلمّا حكى عنهم العمل، وهو قوله: ﴿ يُوفُونَ ﴾ حكى عنهم النيّة، وهو قوله: ﴿ وَيَخَافُونَ يَوْمًا ﴾ وتحقيقه قوله عليه السلام: ((إنما الأعمالُ بالنيات))، وبمجموع هذين الأمرين سماهم الله تعالى بالأبرار))[12]. فآمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر، وكان إيمانهم إيمانا متكاملا، إيمان رُشدٍ وبصيرةٍ، عرفوا الحقّ-سبحانه -وقدروه حقّ قدره، فقدموا إرادته على إرادتهم، إذ لم يعملوا إلاّ ما ارتضاه، وصبروا على مخالفة أنفسهم فيما تحبّه وترضاه، فكان عملهم خالصا لوجه الله تعالى، لايبتغون من الناس جزاءاً ولاشكورا، وهم عباد الله، ودلّ هذا اللفظ على أنه مختص بأهل التوحيد والإيمان الذين أوفوا بعهدهم مع الله[13]. وخافوا مقام ربِّهم، وآثروا المسكين، واليتيم، والأسير على أنفسهم، فأحسن الحقّ إليهم، وجزاهم على صبرهم جنّة ذات ملامح محددة.

وقد أشار الإمام فخر الدين محمّد بن عمر الرازي (ت٦٠٦هـ)في كتابه: عجائب القرآن إلى مكانة أهل البيت عليهم السلام عند الله -سبحانه وتعالى -عندما جعلهم الحقّ مساوين للنبي صلى الله عليه وآله في عدد من الأمور، منها:

الأول: في المحبّة في قوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [سورة آل عمران: ٣١]. وقال تعالى في حقّ أهل بيت النبيّ: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[سورة الشورى: ٢٣]. فعن ابن عباس رضي الله عنه أنّه لمّا نزلت هذه الآية ((قالوا: يا رسول الله مَن هؤلاء الذين أمرنا الله بمودّتهم؟. قال علي وفاطمة وَوَلداهما))[14].

والثاني: في تحريم الصدقة عندما قال

(١١) مجمع البيان: ١٠/ ١١٧.
(١٢) التفسير الكبير: ٣٠/ ٢٢٦.
(١٣) ينظر: التفسير الكبير: ٣٠/ ٢٢٥، والميزان: ٢٠/ ١٣٦.
(١٤) شواهد التنزيل: ٢/ ١٣٠ -١٣١.

الرسول الكريمﷺ: ((حُرِمت الصدقة عَليَّ وعلى آل بيتي)).

والثالث: في الطُهر في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣].

والرابع: في السلام في الصلاة، يقال: ((السلام عليك أيُّها النبيُّ)) وقال في أهل بيته: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴾[سورة الصافات: ١٣٠]. وقد ((قال ابن عباس: آل ياسين آل مُحمّدﷺ، وياسين من أسمائه))[١٥].

والخامس: في الصلاة على الرسول وآله، كما في التشهد[١٦]، وهذا الأمر لم يشارك الرسول الكريم فيه أحد إلاّ أهل بيته.

يُزاد على ذلك كله، فإنّ القرآن الكريم المعجزة الكبرى للرسولﷺ والمعجزة دليل تصديقه في مايدعو إليه، وكان هذا السبيل شأن أهل البيتعليهم السلام في آية المباهلة في قول الحقّ تبارك وتعالى: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [سورة آل عمران: ٦١].

فاشتركوا مع كتاب الله في هذا الأمر من دون الناس، عندما جعلهم الله- عزّ و جلّ -دليل تصديق الرسول في مايدعوإليه، من أجل ذلك، لاريب في تجلي عطاء الخالق عليهم في سورة الإنسان في أكثر من سبيل.

وبعد هذا كله، كيف بمن يبخس حقّ أهل البيتعليهم السلام فيستكثر أن تنزل تلك الآيات فيهم؟!. متناسياً قول الحقّ- عزّ وجلّ -: ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ ﴾[سورة الأعراف: ٨٥]. وهم الذين يقول فيهم أميرالمؤمنينعليه السلام ((لايقاسُ بآل محمّدﷺ أحد من هذه الأمة، ولا يُسوّى بهم مَن جَرت نعمتهم عليه أبدا: هم أساس الدين، وعماد اليقين))[١٧]. ولا ريب أنْ نرى الآيات

(١٥) مجمع البيان: ٨/ ١٧٧، وينظر: شواهدالتنزيل: ٢/ ١١٠، والتفسير المبين: ٥٩٤.

(١٦) ينظر: عجائب القرآن: ١٠٥ -١٠٦.

(١٧) نهج البلاغة: ٤٧.

المباركة تنزل فيهم، ويُسبغ الحقّ عليهم آلاءهُ ظاهرة، و باطنة، فإنّهم عِدلُ القرآن، وأهله، وترجمانه.

- البناء اللغوي للجنّة:

إنّ الآيات المباركة -موضوع البحث- لم تذكر بدءاً صنيع أهل البيت عليهم السلام الذي كان سبباً لنيل تلك الجنّة والآئها، وإنّما تمّ الالتفات إلى تلك الآلاء في الآيتين رقم: (٥، ٦) في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ وهذا من عطاء الله -تبارك وتعالى- لهم في الجنّة، وبعد ذلك تمّ الإلتفات إلى صنيعهم في الحياة الدنيا في الآيات رقم: (٧، ٨، ٩، ١٠) في قول الحقّ: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾. ثمّ تتجه الآيات رقم: (١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢)، في قوله تعالى: ﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۝١٣ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ۝١٤ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ۝١٥ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۝١٦ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝١٧ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ۝١٨ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ۝١٩ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝٢٠ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۝٢١ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾ [سورة الإنسان: ١١-٢٢]. لتشير إلى آلاء الرحمن المعدّة لهم سلفاً في الجنّة، وهكذا نهج، يبيِّن أمرين:

الأول: أنّ عملهم محاط بالجنّة، أو أنّه يقع من ضمن دائرة الجنّة منذ الوهلة الأولى، فتم ذكر عطائهم في الجنّة في الآيتين: (٥، ٦) وبعده، ذُكِر عملهم في الحياة الدنيا الذي، استحقوا من أجله العطاء في الآيات: (٧، ٨، ٩، ١٠) وبعده، أُحيط عملهم في الآيات: (١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢) بتفاصيل واسعة لنعيم

الجنّة الذي ((لايزول ولايفنى))[١٨] بحسب ماثُقِلَ عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام في أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ [سورة الإنسان: ٢٠].

والآخر: أنّ هذا النسق من البناء، يشير إلى تداخل عمل الدارين: (الأولى، والآخرة). فظهرالإتساق في الأفعال التي تشير إلى آلاء الجنّة -بداءة -: (يشربون، ويشرب، ويفجرونها)، وتستمر الأفعال المضارعة، لتبين عملهم في الدنيا: (يوفون، ويخافون، ويطعمون، ونطعمكم ولا نريد، ونخاف). ثم تنتقل دلالة الأفعال إلى الماضي، فيكون الأمرعوداًعلى بدء، أي عند الرجوع إلى التفصيل في ذِكرعطاءات الجنّة، وهنا تكمن دلالة التغاير في الأزمنة، في أنّ ثمة بنيتين، حددتا الزمان النحوي لملامح الجنّة، وهما (المضارع، والماضي)، وعلى النحو الآتي[١٩]:

- المضارع: وجاء يدلّ على زمنين، هما: المستقبل والماضي، وكان في الآيتين: (٥، ٦)وهاتان الآيتان المباركتان تشيران إلى نمط من أنماط الشراب في الجنّة.

ويُزاد على ذلك الأفعال: ((يَشرَبُون))، و ((يَشرَبُ))، و ((يُسقَونَ))، و((سَقاهُم)). وهي تشير إلى حقل دلالي واحد، وهو الشراب، ويُظهِر أن عطاءهم استُهِل بـ﴿ يَشْرَبُونَ ﴾[الآية: ٥]. وهو فعل مضارع، وهذا الاستهلال ألا يدعو للتأمل بوصفه نوعا من أنواع إغاثة الملهوف (الصائم) فكان في قول الحقّ: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ [سورة الإنسان: ٥-٦]. في مستهل عطائهم قبل أن يتم ذِكر عملهم الذي استحقوا به تلك الجنّة، وخُتِم بـ((سَقاهُم))في قول الحق: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ [الآية: ٢١]. وهو فعل ماضٍ، وتلك الصيغة لها أكثر من حضور فاعل في الآيات الكريمة، فتبدو في تواتر الأفعال الماضية: ((فوَقاهمُ الله))، و ((لَـقّاهُم))، و ((جَزاهُم))، و ((صَبرُوا))،

(١٨) مجمع البيان: ١٠/ ١٢١.
(١٩) ينظر: مغني اللبيب: ١/ ١٢٧.

و ((ذُلِلت))، و ((قَدَرُوها))، و ((كانت))، و ((كان))، و ((رأيتَهُم)) و ((حسِبتَهُم)) و ((رَأيت)) و((حُلُّوا))، و((سَقاهُم))[٢٠]. وتلك الأفعال بمجملها تشير إلى أنّ عطاءهم، كان مُعدّاً سلفاً في الماضي، وهم في الحياة الدنيا، وجاء في حقائق التأويل، للشريف الرضي(ت٤٠٦هـ): ((فإن قال قائل: كيف رَغّبَ تعالى المكلفين في ذكر جنّة ما خلقها، ولا أوجد جملتها. قيل: إنّ ذلك جائز سائغ، لأنّ خَلقَ الجنّة مقدور له تعالى، وهو متمكن منه، وقادر عليه، فمتى شاء أوجدها غير متعذر عليه إيجادها، ولا صعب قيادها، كما رّغبهم تعالى في ثواب لم يوجده بعدُ؛ وحَسُن ذلك، لأنّ وعدَه صادق وأمرَهُ واقع))[٢١].

وتظهر آثار البنية اللغوية بين لفظتي: ((شكورا))، و((مَشكورا))، أنّهم قالوا عند إطعامهم الطعام للمسكين، واليتيم، والأسير على وفق ما جاء في قول الحقّ: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [سورة الإنسان: ٩]. فهم مستغنون بالله عن شكر الناس وعطائهم، فكان عطاء الحقّ لهم واسعاً في الجنّة، وقول الحقّ: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ [سورة الإنسان: ٢٢]. جزاءً لعملهم، فمع أنّ لفظتي: ((شكورا)) و ((مشكورا)). ترجعان إلى مادةٍ لغوية واحدة، هي: (شكر)، والشّكر ((الاعتراف بالنعمةِ على جهة التعظيم للمُنعم))[٢٢]، فإنّ لفظة ((مَشكورا)). يبدو فيها العطاء على نحو أكبر، فزيادة المبنى في العربية يفضي إلى زيادة المعنى، وهذا النهج بدا في السياق الذي يكون على قسمين: سياق المعنى، وسياق اللفظ، وعند اتساقهما، تظهر وحدة السياق[٢٣]. والحقُّ- سبحانه وتعالى -في النص القرآني، زاد من آلائه عليهم بصور متعددة، ومنها البنية اللغوية بوصفها الأداة الحاملة للمعنى وتلك الأداة تتضمن في جوهرها العطاء،

(٢٠) القرآن وعلم القراءة -مقدمة المترجم -: ١٩.

(٢١) حقائق التأويل: ٥/ ٢٤٨.

(٢٢) الفروق في اللغة: ٣٩.

(٢٣) مِنّة المنّان في الدفاع عن القرآن: ٢٨.

وهذا الأمر يبيِّن زيادةعطائِه لهم. من أجل ذلك يمكن أنْ تُعدَّ البنية اللغوية مظهرا من مظاهر العطاء، الذي كان حاضرا في الآيات الكريمة من سورة الإنسان في أكثر من موضع، وبدا في الأفعال التي تدل على الماضي: ((فوَقاهُم))، و((لَقَّاهُم))، و((جَزَاهُم)).

بيد أنّ أهل البيت عليهم السلام وصِفت لهم جنتهم، وهم واردون فيها قبل انقطاع التكليف بدلالة القرائن اللفظية، والمعنوية التي تفضي إلى ذلك، أي أنّ الأفعال التي، جاءت بصيغة الماضي؛ إنّما تشير إلى أنّ الجنة التي وعِدوا بها متحققة، وأنّ لهم حضوراً فيها.

وثمة دعوة لرؤية آلاء تلك الجنّة بوساطة الفعل الماضي (رأيتَ) الذي تكرر مرتين في قول الحقّ:

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ [سورة الإنسان: ٢٠].

فإنّ (رأيت) الأولى ليس لها مفعول ملفوظ، ولامقدّر، ومعناه أنّ البصر أينما وقع، سيرى نعيما وملكا واسعا، ويُعزز هذا بـ(رأيت) مرّة أخرى، ويمكن القول أنّه يومِيء إلى الرؤية البصرية التي تحتاج إلى مفعول به واحد[٢٤]، وظهر في لفظة (نعيماً) فكان مُشاهدة نعيم الجنةِ، ومُلكِها عِياناً.

- الشراب في الجنّة:

وعندما نتجه تلقاء أمرآخرله عَلاقة بتلك الجنّة، وما أُترِفوا فيها من نعيمها، ويظهرعلى الشراب، الذي يختلف عن المُعد في الجِنان الأخرى، وعلى النحوالآتي:

١. أنّ شرابَهم ممتزج بالكافور، وقيل أنّ ماء الكافور اسم عينٍ في الجنّة، وماؤها في بياض الكافور، ورائحته وبرده[٢٥].
٢. إنّ عين الماء يوجهونها على وفق ما يشتهون، فيقودونها إليهم، والتفجير في الآية، يشير إلى تشقق الأرض بجريان الماء فيها[٢٦].
٣. لهم شراب ممتزج بالزنجبيل.
٤. هم عين من الشراب تسمّى بالسلسبيل.

(٢٤) ينظر: مجمع البيان: ١٠/ ١٢٠، وتفسير البيضاوي: ٤/ ٣٦٠، ومِنّة المنّان في الدفاع عن القرآن: ١٥٥.
(٢٥) ينظر: الكشاف: ٤/ ٥١٤.
(٢٦) مجمع البيان: ١٠/ ١١٧.

٥. لهم شراب اختصهم الله به في هذه الجنّة من دون الجِنان الأخرى، فوصفه الحقّ بالطهورفي قوله: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾[سورة الإنسان: ٢١]. وهذا يتسق مع قول الحقّ فيهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[سورة الأحزاب: ٣٣].

ويرى البيضاوي في تفسيره أنّ وصف الشراب بالطهور ((يريد به نوعا آخر يفوق النوعين المتقدمين؛ ولذلك أسند سقيه إلى الله عزّوجلّ، ووصفه بالطهورية فإنّه يطهرشاربه عن الميل إلى اللذات الحسيّة والركون إلى ما سوى الحقّ، فيتجرد لمطالعة جماله بلقائه باقيا ببقائه، وهي منتهى درجات الصديقين؛ ولذلك ختم بها ثواب الأبرار))[٢٧].

ومن الجدير بالملاحظة أنّ في الجنة أربع عيون ثلاث منها في سورة الإنسان، فقد جاء في تفسير القرطبي أنّ رسول الله ﷺ قال: ((أربع عيون في الجنّة عينان تجريان من تحت العرش إحداهما التي ذكر الله ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ والأخرى الزنجبيل والأخريان نضّاختان من فوق العرش إحداهما التي ذكر الله ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾، والأخر بالتَّسنيم))[٢٨].

ويُنتفع من هذا أنّها جنّة، تحصل على مواردها من العيون في حين أن عددا آخر من الجنان، كانت الأنهار المصدر الرئيس لتزود المؤمنين بالماء والشراب منها، كقول الحقّ:

١-﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[سورة البقرة: ٢٥].

٢-﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [سورة البقرة: ٢٦٦].

٣-﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [سورة التوبة: ٧٢].

٤-﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾[سورة محمّد: ١٥].

(٢٧) تفسير البيضاوي: ٤/ ٣٦١.

(٢٨) الجامع لأحكام القرآن: ١٩/ ١٢٥.

ومن المعروف أنّ العيون تُعدُّ مصدرا من مصادر رفد الأنهار بالمياه في الحياة الدنيا، فالماء يكون له حضور في العيون أولاً، وبعد ذلك يكون حاضرا في الأنهار، ولعلّ الحقّ -سبحانه وتعالى- يشير إلى أنّ شراب أهل البيت عليهم السلام في جنّتهم في الحياة الآخرة شراب بِكر من مصدره من العيون، لأنّ الحقّ خاطب الناس في القرآن الكريم بحسب ما ألِفوه وتعارفوا عليه في حياتهم الدنيا، وهذا الأمر لايقلل من شأن الأنهار في جنّات النعيم، ولايغفل الفرق بين معطيات الحياتين.

مما تقدّم، يتبين أنّ شراب أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله في جنتهم ((يمتزج بالكافور، يشربونه في كأسٍ تغترف من عين تُفجّر لهم تفجيرا، في كثرة ووفرة.. وقد كان العرب يمزجون كؤوس الخمر بالكافور حيناً، وبالزنجبيل حيناً زيادة في التلذذ بها... وأنّ في الجنّة شراباً طهوراً ممزوجا بالكافور على وفرة وسعة. فأما مستوى هذا الشراب، فمفهوم أنه أحلى من شراب الدنيا، وأنّ لذة الشعوربه تتضاعف وترقى، ونحن لانملك في هذه الأرض أن نحدد مستوىً ولانوعاً للذة المتاع هناك. فهي أوصاف للتقريب. يعلم الله أنّ الناس لا يملكون سواها لتصور هذا الغيب المحجوب))[٢٩]. وأنّ تلك الأشربة في جنّة أهل البيت تختلف عن الأشربة الواردة في الآيات الأخرى كقول الحقّ: ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [سورة المطففين: ٢٥ -٢٨]. أوقول الحقّ: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾[سورة الصافات: ٤٥ -٤٧].

زيادة على ذلك، فإنّ ثمة تنوعاً للفاعلية في تقديم الإشربة لهم، فهم:

أولاً: (يشربون) و (يشربُ بها عبادُ الله). فالفاعلية -هنا- ترجع إليهم.

وثانياً: (يُسقونَ) فإنّ الفاعلية، ينهض بها الوِلدان المُخلدون.

وثالثا: (سقاهُم رَبّهُم) الفاعلية -هنا- مصدرها ربّ العزّة -تبارك وتعالى- وذلك النهج لم يرد في القرآن الكريم إلاّ

(٢٩) في ظِلال القرآن: ٢٩/ ٣٩٦ -٣٩٧.

لمرّة واحدة في هذه السورة، وذلكم عطاء لا يُدانيه عطاء، أسبغه الحقّ -تقدست أسماؤه- على أهل بيت النبيﷺ عندما أسندالسقاية إليه، وهونوع من أنواع المجاز العقلي[٣٠]. بوصفه إسناد الفعل إلى غير فاعله الحقيقي، وهنا تمّ إسناد الفعل (سقاهم) إلى ربّ العزّة -تبارك وتعالى-.

كل ذلك، يشير إلى أنّ الشراب له الصدارة في تلك الجنّة، وهذا مالم نجده في بعض الجنان، كالجنّة التي كان لها حضور في سورة المرسلات عندما قدِّم فعل الأكل على الشراب في قوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[سورة المرسلات: ٤٣]. أو تقديم الفواكه على الشراب في جنّة سورة الصافات في قوله تعالى: ﴿فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [سورة الصافات: ٤٢ -٤٦].

وهذا الأمر يعني أنّها جنّة لها ما يُميّزها من الجِنان الأخرى، وهو بعض من آلاء الرحمن علهم، يُزاد على ذلك، فإنّ ارتباط أسباب النزول بهم في الآيات المباركة، ومكوثهم ثلاثة أيام يفطرون على الماءلاغير، يبيِّن مقدارالعطاء من الأشربة التي هُيئت لهم، وتنوّع أفعالها.

- الحرير والفضة في الجنة:

بدت الجنّة، والحرير في قوله تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [سورة الإنسان: ١٢]. ولم يقترن الحرير بالجنة في القرآن الكريم إلاّ في هذه السورة في حين أنّه اقترن بالثياب في الجنان الأخرى في قوله سبحانه وتعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [سورة الحج: ٢٣]، [سورة فاطر: ٣٣].

وجاء في تفسير الكشاف: ((فإن قلتَ: ما معنى ذِكر الحرير مع الجنّة؟. قلت: المعنى و جزاهم بصبرهم على الإيثار، وما يؤدِّي إليه من الجوع، والعري بستاناً فيه مأكل هني، وحريرا فيه ملبس بهيّ))[٣١]. ولكن ألا يمكن أن يُراد بالحرير الإشارة إلى نعومة العيش

(٣٠) ينظر: دلائل الإعجاز: ٢٢٧ -٢٢٨

(٣١) الكشاف: ٤/ ٥١٦، وينظر: تفسيرالبيضاوي: ٤/ ٣٦٠.

ورغده، على نحو عام، وزيادة في توكيد سمات الجنّة، فجاء الحرير مقترنا بها، الذي سيكون له حضور -لاحقا -في ثياب السندس، وهو الحرير الرقيق، والإستبرق، وهو الحرير السميك[٣٢]، وقبل الورود إلى نعيمها، استُقبلوا بما يليق بهم، وبعد ذلك، تنفتح الجنّة، فيُرى الآلاء التي أسبغها الله عليهم، فكان من أحوالهم الجلوس في الجنّة: ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾ [سورة الإنسان: ١٣]. فالاتكاء على الأرائك، أي أنّهم يجلسون فيها على الأسرّة جلوس الملوك ولا يتعرضون لحرارة الشمس وبرودة الجو، وكانت الأشجار ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا ﴾ [سورة الإنسان: ١٤]. أي أنْ ظِلالها، أو أفياء أشجارها قريبة منهم، ويقال: أن ظِلالها لا تنسخها الشمس، وهي بذلك تختلف عن ظِلال الدنيا ﴿ وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾ [سورة الإنسان: ١٤]. فإنّ ثِمارها سُخرت لهم، يأخذون منها متى شاؤا، وفي إيِّ حال كانوا قائمين، أو قاعدين، أو مضطجعين[٣٣] ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾ [سورة الإنسان: ١٥ -١٦]، وكانت الآنية والقوارير من فضة، ووردت لفظة (فضّة) في القرآن الكريم في ستة مواضع، ثلاثة منها في:

١. قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ ﴾ [سورة آل عمران: ١٤].

٢. وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [سورة التوبة: ٣٤].

٣. وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ ﴾ [سورة الزخرف: ٣٣].

وهي في تلك الآيات لا علاقة لها بآلاء الجنّة، في حين أنّ المواضع الثلاثة الأخرى للفظة (فِضّة)، وردت

(٣٢) ينظر: مجمع البيان: ٩/ ١٨٧، والتفسير الكبير: ٣٠/ ٢٣٧، والتفسير المبين: ٧٨٢.

(٣٣) مجمع البيان: ١٠/ ١٢١.

في [سورة الإنسان: الآيات١٥، ١٦، ٢١]. وهي تختص بآلاءِ الرحمن لأهل البيت عليهم السلام في تلك الجنّة، ويمكن أنْ يُقالَ: أنّها جنّة، تزخر بالفضّة، فالآنية، والقوارير، والأساور كلّها من فضّة، ﴿بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ﴾[سورة الإنسان: ١٥]، و﴿قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ﴾ [سورة الإنسان: ١٦]. وزينتهم مع ثياب السندس الخضر، والإستبرق، كانت ﴿أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾[سورة الإنسان: ٢١].

وإذا أردنا الوقوف على ملامح جنّة أهل البيت في سورة الإنسان على نحو أوضح، نتوجه تلقاء قوله تعالى من سورةالكهف:

﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾[سورة الكهف: ٣١].فيتبيّن أنّ لكل جنّة سماتها.

وإذا كانت الجنتان في[سورة الإنسان: ٢١]، و[سورة الكهف: ٣١] تتفقان في عدد من الألفاظ هي: (ثياب، وسندس، وخضر، وإستبرق، وأساور)ولكنّ هذا الأمر، لايغفل الإختلاف في نسق تلك الألفاظ بين الآيتين علاوة على ذلك، الاختلاف في الدلالة الزمنية للأفعال؛ مما وجّه لأنْ تكون لكل جنّةٍ ملامحها، وفضاءاتها التي تميِّزها من الأخرى(٣٤)، فالتغيير -بدءاً -برز بين: (عَاليهم-يلَبسون)، و(ثيابُ سُندسٍ خضرٌ -ثيابا خُضراً مِن سُندس)، (وَحُلوا-يُحَلون)، و (أسَاورَ مِن فِضّةٍ -أسَاورَ مِن ذهَبٍ). وقبل دخول أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله الجنّة في سورة الإنسان، كانت تعلوهم ثياب السندس الخضر والإستبرق، وزينوا بأساور من فضّة كلّ ذلك أعِدَ لهم من قبل، وهذا ظهر عن طريق صيغة الماضي في حين أنّ أصحاب الجنّة في سورة الكهف، يلبسون فيها الثياب الخضر من السندس والإستبرق، ويزينون بأساور من ذهب كلّ ذلك وهم في رحاب الجنّة. وذلك النهج، بدا في زمن المضارع، الذي يشير إلى الحال والاستقبال، ومادمنا

(٣٤) ينظر: جماليات الأداء باللون في القرآن الكريم: ١٠٦.

نتحدث عن الزينة التي، كانت(أساور من فضّة)وأنّها لم تكن من ذهب، مع أنّ الذهب في معايير الناس أكثر نفاسة من الفضّة، وهذا السبيل، يمكن أنْ يُفهم منه الآتي:

١. إنّ معايير السماء، تختلف عن معاييرأهل الأرض، فكان عطاؤهم مخصوصاً بعينه، يتسق مع عملهم في الحياة الدنيا وقت نزول السورة المباركة عندما أوفوا بالنَذر وأطعموا الطعام للمسكين، واليتيم، والأسير، فكافأهم الحق -تبارك وتعالى- بمصادر من الشراب في الجنّة، تتفق وحالهم في الحياة الدنيا، وعلى ذلك، كانت الأساورمن الفضّة، وليست من الذهب.

٢. إنّ جنتهم في سورة الإنسان، تختلف عن الجنان الأخرى في آلائها، وهذا الاختلاف سرى على جميع معطياتها، فكانت الفضّة واحدة من تلك المعطيات.

٣. إنّ أصحاب تلك الجنّة، هُم من الناس الذين جُبلوا على الزهد، وأنّ الحق، وافقهم ومنحهم عطاءهم على وفق ما عرفوه في الحياة الدنيا، وكانت الفضّة أقصى معرفتهم -في أثناء صيامهم ووفائهم بالنذر -؛ فانتقل زهدهم، وما عرفوه إلى تلك الجنّة. إذ إنّ عدداًمن عطاءات جنّة أهل بيت النبيﷺ وافقت مقتضى حالهم في الحياة الدنيا.

وثمة أمر له علاقة بالأساور في جنّتهم، أنّها كانت من فضّة، ولم تكن من ذهب، أشار إليه محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)بقوله: ((ذكر ههنا أنّ أساورهم من فضّة وفي موضع آخر أنّها من ذهب: قلت: هبْ أنّه قيل وحلوا أساور من ذهب ومن فضّة، وهذا صحيح لاإشكال فيه على أنّهم يسوَّرون بالجنسين إمّـا على المعاقبة، وإمّاعلى الجمع؛ كما تزواج نساء الدنيا بين أنواع الحُلِيّ، وتجمع بينها، وما أحسن بالمعصم أنْ يكون فيه سِوران: سِوار من ذهب، وسوار من فضة!.))[٣٥].

(٣٥) الكشاف: ٤/ ٥١٩ -٥٢٠، وينظر: تفسير البيضاوي: ٤/ ٣٦٠.

وأخذ بهذا الرأي مُصنِّف صفوة التفاسير، بيد أنّه زاد عليه قول الحقّ- تبارك وتعالى -: ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴾[سورة فاطر: ٣٣]. فرأى ((أنّهم تارة يلبسون الذهب فقط، وتارة يلبسون الفضة، وتارة يلبسون اللؤلؤ فقط على حسب ما يشتهون، ويمكن أن يجمع في يد أحدهم أسورة الذهب والفضة واللؤلؤ))[٣٦].

ومع أنّ الزمخشري، وغيره يأخذ بسبب نزول الآيات في حقّ أهل البيت، ولكنّه لم يلتفت إلى أنّ هذه الجنّة بآلائها كافة امتياز اختصّ به الله عباده لِمنجزٍ فعلوه، فنالوا به عطاءً محدد المعالم والفضاءات، فليس ثمة مسوّغ لتقدير شيء، لم يكن له حضور في الآية الكريمة، كأن تكون لفظة (ذهب) أو غيرها، مادامت الآية لم تصرّح بذلك، فلا مجال للتأويل، والزيادة، لأنّ الجنّة -هنا- مخصوصة بعينها، تختلف عن الجِنان الأخرى. علاوة على ذلك فإنّ تكرارعدد من الألفاظ في القرآن الكريم، يفضي إلى غايات أسلوبية، تبدو في ظاهرها، ولكنّها في حقيقة أمرها تعطي دلالات تتفق مع وحدة السياق الذي وردت فيه من أجل ذلك، يمكن القول باختلاف الجنان فيما بينها كلّ بحسب الآلاء التي ذكرها الحقُّ سبحانه وتعالى.

- النساء والوِلدان في الجنّة:

بحسب أسباب النزول، ثمة امرأتان اثنتان في هذه الجنّة، هما السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول الكريمﷺ وخادمتها فضة التي شاركت أهل بيت الرسولﷺ في النذر والوفاء به، فأصابها من العطاء ما أصابهم، ولم تذكرالسورة المباركة الحور العِين، اللآئي كان لهن حضورفي الجنان الأخرى، إذ يقول مُصنّف تفسير الميزان: ((واعلم أنّه تعالى لم يذكر فيما ذكر من نعيم الجنّة في هذه الآيات نساء الجنّة من الحور العين، وهي أهم من ما يذكر عند وصف نعيم الجنّة في سائر كلامه ويمكن أن يستظهرمنه أنه كانت بين هؤلاء الأبرارالذين نزلت فيهم الآيات مَن هي من النساء))[٣٧] فظهرت الحور العين في

(٣٦) صفوة التفاسير: ٣/ ١٦٢٤.

(٣٧) الميزان: ٢٠/ ١٤٣.

الجنان الأخرى من دون الجنة في سورة الإنسان، فكنّ في قول الحقّ:

١-﴿ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ [سورة الدخان: ٥٤].

٢-﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ [سورة الطور: ٢٠].

٣-﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾ [سورة الرحمن: ٧٢].

٤-﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴾ [سورة الواقعة: ٢٢ -٢٣].

وعلى هذا لم يكن للحور العين حضور في جنة أهل البيت عليهم السلام ويجعل مصنف روح المعاني من ذلك دليلا على نزولها فيهم عندما يقول: ((ومن اللطائف على القول بنزول السورة فيهم، يعني أهل البيت، أنّه سبحانه لم يذكر فيها الحور العين، وإنما صرّح عزّوجلّ بولدان مخلدين رعاية لحرمة البتول وقرّة عين الرسول))[٣٨]. وقد صرحت بذلك الآية الكريمة من سورة الإنسان في قوله تعالى: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾ [سورة الإنسان: ١٩].

عندما اتجهت إلى ذكرِ فئةٍ محددة، في تلك الجنّة، نهضت بخدمة أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله سمّتهم الولدان المُخلّدون، الذين كانوا ((من الصفاء، وحُسن المنظر، والكثرة، فذكر لونهم، وكثرتهم، وقيل: إنّما شبههم بالمنثور، لانتثارهم في الخدمة، فلو كانوا صفاً لشبهوا بالمنظوم))[٣٩]. ويمكن ملاحظة دلالة الفعل (ويَطوف) الذي، يشير إلى استمرار الحركة، وهذا يعني أنّ الذين يقومون بالخدمة في سعيٍ دائب، وحركة مستمرة، لا يصيبها الفتور من أجل انجاز ما أوكل إليهم ربّ العزّة في خدمة أهل البيت النبي صلى الله عليه وآله الذين جزاهم الحقّ أفضل الجزاء، وشكر لهم سعيهم، وقد صرّح سبحانه وتعالى بذلك في قوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾ [سورة الإنسان: ٢٢].

ومن العطاءات الأخرى، التي ذكرها الحقُّ في سورة الإنسان لأهل البيت عليهم السلام- ومَن اتبع سبيلهم، الخدمة التي، نهض بها خَلق، لم تصرح الآية بذكرهم: ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴾ [سورة

(٣٨) المصدرنفسه: ٢٠/ ١٤٣ -١٤٤.

(٣٩) مجمع البيان: ١٠/ ١٢١.

الإنسان: ١٥]. وقد يكون هذا السبيل زيادة في التشويق، والعطاء عندما، لم يتم بيان الذي، يقوم بخدمتهم، وكان هذا عن طريق بناء الفعل (يُطافُ) للمجهول، و حذف فاعله، وفي اللغة يُحذف الفاعل لعدد من الأمور، منها: تعظيمه، أو إبهامه على السامع[٤٠].

الخاتمة:

مما تقدم، ظهرت بعض من منزلة أهل البيت عليهم السلام في القرآن الكريم، وعلى نحو خاص في سورة الإنسان، وبدا أنّ الأسلوب الذي عُرِضت فيه الآيات المباركة، يتخطى آفاق الزمان الدنيوي ليصب في آفاق الزمان الأخروي السرمدي، وتتداخل الأزمنة بعضها مع بعض، لتشير إلى حتمية الجنة التي رُزِقوها، مع أنّ المكلفين -أهلَ البيت عليهم السلام -أحياء يرزقون، وقت نزول الآيات المباركة، عندما صِيغت الكثير من آلائها بصيغة الماضي، وهذا عطاء لا يدانيه عطاء، حصل عليه مؤمن في الحياتين، فكانت جنتهم تُشاهد عياناً، وذلك مستهل الإكرام، والمُكرَمين. وكانت الآيات الكريمة ترصد المُنجز في الحياة الدنيا، والعطاء في الحياة الآخرة، ويتوحد المنجز والعطاء، ليظهر في صياغات جمالية، تدعو المتلقي إلى أن يَعِيَ مفردات الآيات، ويتأملها مليّاً؛ لأنها تبتغي إيصال رسالة كونية مجملها، أنّ نهج أهل بيت النبوة عليهم السلام منار للراغبين إلى ربهِّم يهتدون به أنّى شاؤا، وأنّ الحقّ قدّم أنموذجا لبيوتات الأنبياء عليهم السلام وأخلاقهم، فكانت جنّة أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله في سورة الإنسان التي كشف البحث عن بعض من ملامحها، ويمكن إيجازتلك الملامح على النحو الآتي:

أولاً: إنّ عملهم -بدءاً -محُاط بالجنّة، وظهر هذا في السبيل الذي عُرِضت فيه الآيات المباركة، عندما تم بيان حالهم في الجنّة في آيتين كريمتين، ثمّ ذ كِر عملهم في الحياة الدنيا في أربع آيات، وكان سبباً في نيل العطاء، وبعدذلك تمت العودة إلى بيان حالهم في الجنّة في اثنتي عشرة آية، وعلى هذا، فإنّ عملهم، لايخرج عن نطاق تلك الجنّة ذات الصفات المخصوصة بعينها.

(٤٠) ينظر: علل النحو: ٢١٦ -٢١٧.

ثانيا: وسَمهم الحقُّ -تبارك وتعالى- بسِماتِ الأبرار، وعبادُ الله، والوفاء بالنَذرِ، والخوف من الله ومن أهوال يوم القيامة، وإطعام الطعام قربة لله للمسكين واليتيم والأسير، والإيثار، والصّبر؛ من أجل ذلك كان جزاؤهم الجنّـة.

ثالثا: ثمة صلة بين سبب نزول الآيات المباركة من جهة، ونوع العطاء في الجنّة من جهة أخرى. أي حال أهل البيت عليهم السلام وهم صائمون، من المعروف أنّ الصائم -في الحياة الدنيا -لحظة الإفطار، يحتاج إلى ما يسدُّ ظمَأهُ من ماءٍ وشرابٍ، ويزادعلى ذلك، أنهم أمضوا ثلاثة أيام بلياليها، لا يفطرون إلاّ على الماء، ومن أجل هذا، كان نوع العطاء في الجنّة الذي استُهل برصيد وافر من الشراب.

رابعا: تبين أنّ الجنّة في سورة الإنسان المباركة، جنّة عيون، وظهر في قول الحقّ: ﴿ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ و ﴿ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ و﴿ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴾ و﴿ سَلْسَبِيلًا ﴾ و﴿ شَرَابًا طَهُورًا ﴾.

إذ إنّ ثلاثة أرباع عيون الجِنان، تكمن في هذه الجنّة، من أجل هذا، كان عطاؤهم في الجنة رصيداً كبيراً من الشراب في السورة الكريمة في مستهل الآيات الكريمة، بدءاً من الفعل (يشربون).

خامساً: تنوع السقاية، فقد كانوا يشربون بأنفسِهم، ثمّ يسقيهم الوِلدان المُخلدون، وفي آخر المطاف سقاهم الحقّ في قوله: ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ وهذا منتهى العطاء.

سادسا: ثمة اتساق في البناء اللغوي، كشف عن تداخل عمل الدارين: (الأولى، والآخرة)، وظهر هذا الاتساق في الأفعال التي تشير إلى الآء الجنّة -بداءة -من قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ وظهر في الأفعال: (يشربون، ويشرب، ويفجرونها) وتستمر الأفعال المضارعة، لتبين عملهم في الحياة الدنيا في قوله تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾. وظهر في الأفعال:

(يوفون، ويخافون، ويطعمون، ونطعمكم ولا نريد، ونخاف). ثم تنتقل دلالة الأفعال إلى الماضي، فيكون الأمر عوداً على بدء، أي الرجوع إلى التفصيل في ذِكرعطاءات الجنّة، وهنا تكمن دلالةالتغاير في الأزمنة، في أنّ بنيتين، حددتا الزمان النحوي لملامح الجنّة، وهما (المضارع، والماضي)، وعلى النحو الآتي:

١. المضارع: وجاء يدلّ على زمنين، هما:

أ. المستقبل، وكان في الآيتين: (٥، ٦) وهاتان الآيتان المباركتان، تشيران إلى نوعين من أنواع الشراب في الجنّة.

ب. الحاضر، وكان في الآيات: (٧ -١٠) وتلك الآيات تعبرِّعن حال أهل بيـت النبيّﷺ وعملهم في الحياة الدنيا.

٢. الماضي، وكان في الآيات: (١١ -٢٢) ويظهر النعيم المُعد لهم من قبل، وفي تلك الآيات يكمن الفوز والعطاء الأكبر، فكان في الأفعال: (فوَقاهمُ، ولـَقـّاهُم، وجَزاهُم، وذُلِلت، وحُلـّوا، و سَقاهُم). وتلك الأفعال بمجملها، تشير إلى أنّ عطاءهم، كان مُعدّاً سلفاً في الماضي، وهم في الحياة الدنيا.

سابعا: امتد عطاء الحقّ إليهم، عندما كافأهم بالبنية اللفظية جزاءً لعملهم، فمع أنّ لفظتي: ((شُكُورا))، و((مَشكُورا)). ترجعان إلى مادةٍ لغوية واحدة، هي: (شكر)، فإنّ لفظة: ((مَشكورا)). يبدو فيها العطاء على نحو أكبر، فزيادة المبنى في العربية يفضي إلى زيادة المعنى، من أجل ذلك، زاد من آلآئه عليهم بصورمتعددة، ومنها البنية اللغوية بوصفها الأداة الحاملة للمعنى، وتلك الأداة تتضمن في جوهرها العطاء، وهذا الأمر يبينِّ زيادةعطائه لهم. من أجل ذلك يمكن أنْ تُعدَّ البنية اللغوية مظهرا من مظاهر العطاء، الذي كان حاضرا في الآيات الكريمة من سورة الإنسان في أكثر من موضع. ثامنا: لم يقترن الحرير بالجنان إلاّ بالجنّة في سورة الإنسان، وهذا السبيل، يشير إلى أنـّها جنّة متفرِّدة بآلائها.

تاسعا: لم يقترن النعيم بالمُلك إلاّ في هذه الجنة من دون سائر الجنان الأخرى، فهي جنّة نعيم ومُلك ٍ كبير مما يشير إلى

سعة عطاء المُكرمين، ولم يرد هذا الاقتران إلا في سورة الإنسان.

عاشرا: ظهر في أثناء الآيات الكريمة من سورة الإنسان، أنّ أهل البيت عليهم السلام نالوا أكثر من جنّة، وهذا الأمر بدا عندما وصفهم الحقُّ بالأبرار، وقد وردت لفظة الأبرار ست مرات في القرآن الكريم، عدد منها يشير إلى تنوع الجنان التي ينالها الأبرار، وبوصف القرآن الكريم منظومة معرفية متكاملة، يبينٍّ بعضه بعضا، يمكن الكشف عن جنان أخرى نالوا آلاءها، ظهرت عندما وصِفُوا بالخوف من الله في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾[سورة الإنسان: ١٠]. وقد قال الحقُّ في سورة الرحمن: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ [سورة الرحمن: ٤٦].

من أجل ذلك، يمكن القول أنّ جنّة أهل البيت عليهم السلام الوارد ذكرها في سورة الإنسان المباركة، اتسمت بملامح خاصّة، وتلك الملامح ميّزتها من الجنان الأخرى التي ذكرها الحقُّ -تبارك وتعالى-في القرآن الكريم، وأنها جنّة من ضمن عدد من الجنان، نالوا آلائها، وهذا ما كشف البحث عنه.

روافد البحث:

القرآن الكريم.

١. أسباب النزول في ضوء روايات أهل البيت عليهم السلام: مجيب جواد الرفيعي، ط١، قم -إيران ١٤٢١هـ.

٢. التحرير والتنوير: محمّد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

٣. تفسير البيضاوي: البيضاوي، عبدالله بن عمر بن محمّد (ت٦٨٥هـ)، ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت، –لبنان، ١٩٩٠م.

٤. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: الرازي، فخر الدين محمّد بن عمر بن الحسين الشافعي (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، القاهرة -مصر، ٢٠٠٣م.

٥. التفسير المبين: محمّد جواد مغنية، ط٢، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي.

٦. الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، محمّد بن أحمد الأنصاري(ت٦٧١هـ)،

دار الكتاب العربي، بيروت –لبنان.
٧. جماليّاتُ الأداءِ باللونِ في القرآن الكريم: د. نوري كاظم، مجلة كلية التربية للبنات، مجلد ٢٠ (١)، ٢٠٠٩م.
٨. حقائق التأويل في متشابه التنزيل: السيد الشريف الرضي (ت٤٠٦هـ)، شرح: محمّد الرضا آل كاشف الغطاء، ط ١، دار الأضواء، بيروت –لبنان، ١٩٨٤م.
٩. دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) تحقيق: السيد محمّد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت –لبنان.
١٠. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم: الحاكم الحسكاني، عبيد الله بن عبدالله الحنفي النيسابوري، من أعلام القرن الخامس الهجري، تحقيق: محمد باقر المحمودي، ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت –لبنان، ١٩٧٤م.
١١. صفوة التفاسير: محمّد علي الصابوني، المكتبة العصرية، بيروت –لبنان، ٢٠٠٣م.
١٢. عجائب القرآن: الرازي، فخرالدين محمّدبن عمر بن الحسين (ت٦٠٦هـ)، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٩٨٤م.
١٣. علل النحو: ابن الوراق، محمّد بن عبد الله (ت٣٨١هـ) تحقيق: د. محمود جاسم الدرويش، بيت الحكمة، بغداد –العراق، ٢٠٠٢م.
١٤. الفروق في اللغة: أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله (ت٣٩٥هـ)، ط٣، دار الآفاق الجديدة، بيروت– لبنان، ١٩٧٩م.
١٥. في ظِلال القرآن: سيد قطب، ط٧، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، ١٩٧١م.
١٦. القرآن وعلم القراءة: جاك بيرك، ترجمة: د. منذرعياشي، ط ١، دار التنوير، بيروت –لبنان، ١٩٩٦م.
١٧. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري، جار الله محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ)، شرح وضبط: يوسف الحمّادي، مكتبة مصر، الفجالة، مصر.

١٨. مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي، أمين الإسلام الفضل بن الحسن (ت٥٨٤ هـ)، ط ١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت -لبنان، ٢٠٠٨م.

١٩. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام الأنصاري(ت٧٦١هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، ومحمّد علي حمد الله، ط٦، دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٩٨٥م.

٢٠. مفهوم الشّعرعند السجلماسي: د. نوري كاظم امنسف علي، اطروحة دكتوراه، قسم اللغة العربية كلية التربية (ابن رشد) جامعة بغداد، ٢٠٠١م.

٢١. مِنّة المنّان في الدفاع عن القرآن: السيد الشهيد محمّد محمّد صادق الصدر، ط١، طليعة النور، النجف الأشرف-العراق، ١٤٢٥ هـ.

٢٢. الميزان في تفسير القرآن: السيد محمّد حسين الطباطبائي، ط٢، مؤسسة الأعلمي، بيروت -لبنان، ٢٠٠٢ م.

٢٣. نهج البلاغة: تحقيق: د. صبحي الصالح، ط٢، انتشارات أنوارالهدى، إيران، ١٤٢٤هـ.